تاريخ الاستلام:2023/9/20 تاريخ القبول:2023/11/30 تاريخ النشر: 2023/12/15م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية –تصدر عن جامعة الزاوية
العدد الثاني والأربعون – ديسمبر – سنة 2023

محمد أركون والقراءة التاريخية للقرآن الكريم (دراسة وصفية)

خيرية محمد الجربى
قسم الدراسات الإسلامية – كلية الشريعة – جامعة الزاوية
الزاوية –ليبيا
EMAIL: kherai.aljemi@gmail.com

ملخَّص البحث:

أركون صناعة فكرية استشرافية غريبة، جرفه التيار، وصفق له الكثيرون المعجبون بفلسفته، وفكره المجدد، وتعد قراءاته التاريخية للقرآن الكريم مساسا سافرا بقدسية النص القرآني، ونقصا لدلالته القاطعة، ومعانيه الكبرى، وبذلك يتعامل أركون مع القرآن بتصييره نصا بشريا لغويا أدبيا، صاغته حوادث الزمن.

ويبقى الهدف الأول من القراءة التاريخية للقرآن الكريم هو محاولة فصل المسلمين عن دينهم إن لم نقل هي دعوة صريحة إلى الكفر والإلحاد.

الكلمات المفتاحية: أركون، القراءة التاريخية، القران الكريم.

Muhammad Arkoun and the historical reading of the Holy Qur'an (a descriptive study)

Khiyri Muhammad Al-Jarbi

Department of Islamic Studies - Faculty of Sharia - Zawia University

Al-Zawiya - Libya

EMAIL : kherai.aljemi@gmail.com

ABSTRACT

Arkoun is a strange, Orientalist intellectual creation. He was swept away by the current, and many admired his philosophy and innovative thought. His historical readings of the Holy Qur'an are a blatant violation of the sanctity of the Qur'an text, and a deficiency in its conclusive significance and major meanings.Thus, Arkoun deals with the Qur'an by rendering it a human, linguistic, and literary text, shaped by the events of time..

The primary goal of the historical reading of the Holy Qur'an remains the attempt to separate Muslims from their religion, if not an explicit call to disbelief and atheism

Keywords: Arkoun, historical reading, the Holy Qur'an

.

مقدمة

سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الأخيار إلى يوم الدين... وبعد...،

فإن الحرب على الإسلام يشنها أعداؤه لا هوادة فيها، لا يكلُّون ولا يملُّون، تخمد نارها تارة، وتضطرم أخرى، وقد اتخذت مظاهر مستترة في عصرنا الحديث، صورا من الحرب الباردة التي تسمت بمسميات براقة ؛ كالحداثة ؛ أو العلمانية، أو المعاصرة، أو القراءات التاريخية للكتب السماوية، ولا شك أن القرآن الكريم هو أهمها بل هو المقصود الأول من أجل اختراقه ونزع القداسة عنه ومن ثم تدمير الإسلام الرسالة الخالدة.

مشكلة البحث : قال تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى

وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ } [البقرة : 120].

ففي هذه الآية أن ألد الأعداء هم اليهود يليهم النصارى ومن كان على شاكلتهم وفي موضع آخر من القرآن الكريم يؤكد الله تعالى هذا المعنى بقوله :{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ } [المائدة : 32].

فالعداوة بين الإسلام وخصومه [اليهود خاصة] مستمرة إلى قيام الساعة، وإن ادعى الخصوم حرية الأديان والديمقراطية والأخوة الإنسانية، وإن ادعوا النقد البناء، والبحث الموضوعي فهم يشنون هجماتهم الشرسة على الإسلام بفرضية مسبقة وهي نفي أن القرآن من عند الله بينما يصدقون بالكتب السابقة له وبالأنبياء والرسل السابقين.

ويعد محمد أركون أحد هؤلاء الذين يدعون الفكر الناقد الحر، المتجرد من الهوى والتعصب، حتى وصل به الهوس والضلال إلى نزع القداسة عن القرآن الكريم والتعامل معه بكل تجريد فهو في نظره كتاب من التراث الإسلامي، أخضعه لفرضياته ومقاييسه الخاطئة التي لا ترمي إلا إلى شيء واحد وهو التشكيك في الإسلام وضربه الضربة القاضية، ولا يخفى على القارئ الحصيف دعوة أركون للكفر والإلحاد وإن كانت غير صريحة فهي متوارية اتخذت نمط الفكر الحر التنويري والتحليل المنطقي في رأيه رغم ما يبدو في آرائه من تضارب وتنافر وغموض وركاكة واضحة.

وهذه الدراسة المحدودة ليست للرد على دعاوي أركون، ولن يتم عرض الأدلة عن إلحاده، وهل مات على الإسلام أم ندم وتاب وأناب إلى ربه، فقد تجرأ علي كتاب الله جرأة بالغة نتركه لرب العباد هو أعلم بعباده.

إنما هذا البحث هو فقط دراسة وصفية لفكره المتحرر، الضال، المضل، هو تبصير لمن قد يأخذه الإعجاب وقد يصل به إلى الانبهار بأركون، ويجعله من كبار المفكرين والفلاسفة المتحررين المجددين من صفق لهم الكثيرون ومجدوهم لا لشيء إلا لأنهم تجرأوا على كتاب الله تعالى ووضعوا السم في الدسم للأجيال الحاضرة واللاحقة.

واعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من كتابات أركون وما كتب عنه.

وكان من المناسب أن تكون هذه الدراسة في مقدمة وعدة مطالب هي التالية :

المطلب الأول // التعريف بمحمد أركون، مشروعه، واتجاهاته الفكرية.

" ولد محمد أركون في بلدة تاوريرت ميمون بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر سنة 1928 م، وقضى فترة الدراسة الابتدائية في توريرة ميمون والثانوية في وهران، والدراسة الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر ثم في السوربون في باريس، حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة السوربون سنة 1968 م "[1]

أما عن تدرجه في سلم التعليم الجامعي فقد " عمل من سنة 1961 م إلى سنة 1991 م أستاذا جامعيا في جامعة السوربون، كما عمل أستاذا زائرا في جامعات عديدة حول العالم. ومنذ سنة 2000م مستشارا علميا للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونجرس في واشنطن العاصمة... وهو عضو في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن منذ 1993 م. والمدير العلمي لمجلة **Arabica** منذ سنة 1980 م، كما يشغل عضو مجلس إدارة في عدة هيئات عالمية " [2]

" واكتسب أركون ثقافته عن القيم المسيحية من خلال دراسته في معهد يديره الآباء البيض في وهران... وتم اتهامه بالكفر والإلحاد بسبب مواقفه ونقده الكتب الدينية، وكتب التراث والفقه " [3].

وهؤلاء الآباء البيض كما يقول عبد العزيز الكحيل : " هم تنظيم تنصيري مكنت له فرنسا بعد احتلال الجزائر في سنة 1830م، وكان أغلب نشاطاته في منطقة القبائل التي ولد فيها أركون، وقد ركزت هذه الإرسالية على تلك المنطقة لمزاعم ليس هذا مكان بسطها، وحاربت الإسلام، واللغة العربية بضراوة، وعملت على إحياء اللهجات المحلية ؛ لتكون وحدها اللغة الأصلية للجزائر، وقد تمكن الاستعمار الفرنسي من تخريج بعض الرجال والنساء المنسلخين صراحة أو خفية من دينهم، وشكلوا الآن أحزابا وجمعيات ثقافية تدعوا إلى التحرر من الإسلام والعربية ؛ فلا يستبعد أن يكون أركون ممن رباهم الرهبان، وكونوهم لضرب الإسلام علميا ؛ مع العلم أن الرجل وهو صاحب كرسي الدراسات العربية بالسوربون ؛ لم يكتب إلا بالفرنسية والإنجليزية حسب قوله " [4].

ويضيف الكحيل مبينا رأيه بأن أركون هو جزء من تجمع كبير لمن يسمونهم بالمفكرين المسلمين الذين هُيئوا لهدف كبير هو هدم الإسلام، ونقض عراه بحجة التجديد، وإعادة القراءة للوحي وغيرها. يقول : " يعد الجزائري المتفرنس محمد أركون حلقة قوية في

سلسلة مفكرين عرب ومسلمين معاصرين ؛ يجمعهم مشروع كبير وضعوه أو وُضع لهم ؛ يتلخص في نقض عرى الإسلام من الداخل بزعم التجدد و الاجتهاد و إعادة القراءة للوحي بطرق لا علاقة لها بأصول التفسير والفقه المعروفة في الثقافة الإسلامية، وهؤلاء عدد من المتشبعين بالقيم العلمانية، والأفكار التغريبية،المتبرمين من التزمت الإسلامي، ويعرفون بالتنويريين من أبرز وجوههم محمد أحمد خلف الله [5]، نصر حامد أبو زيد [6]، وسيد القمني[7] ومحمد عابد الجابري [8]"[9].

وقد يكون في وصف الكحيل الإسلام بالتزمت في قوله : " المتبرمين من التزمت الإسلامي لا يليق بالإسلام لأنه ليس بدين التزمت والتضييق على معتنقيه ؛ بل هو الدين الصحيح الذي ارتضاه الله لعباده، ونسخ به الشرائع السابقة، وجعله صالحا لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وإننا نبرر له وصفه هذا بأنه لربما يقصد أنه هذا الوصف هو من وجهة نظر هؤلاء التنويريين ؛ فهم يحاولون كما يزعمون تحرير المسلمين من هذا التضييق الذي وضعهم فيه الإسلام، لأنهم يريدونهم أن يحيون كالدواب لا همّ لهم إلا المتع الحسية، والحياة المادية وفصل الدين عن الدنيا تحت مسميات براقة كالعلمانية وغيرها.

مشروع أركون [نقد العقل الإسلامي]

قبل الشروع في الحديث عن مشروع أركون الذي أسماه " بنقد العقل العربي نود التنويه إلى أهم أهداف أركون والتي تتضح من خلال كتاباته المتعددة ؛ فمن أهم ما يهدف إليه أركون في كتاباته المكررة والمملة نزع الثقة من القرآن الكريم، وقداسته "واعتباره نصا أسطوريا قابلا للدراسة والأخذ والرد"[10]، وحول مفهوم الأسطورة عند أركون، يقول محمد الأحمري :- " وهو يغالط كثيرا في معنى أسطورة ويقول :- إنه يعاني من صعوبة هذه الكلمة على أسماع العرب الذين يربطون بين هذه الكلمة وبين الأكذوبة أو الخرافة، لكن ماهي الكلمة التي يستخدمها أركون في تعبيره عن القرآن باللغة الفرنسية التي يكتب بها كل ما كتبه ؟ إنه استخدم كلمة **Mythe** وبالإنجليزية **Myth** وكلتا الكلمتين تعني الخرافة أو الحكاية، والكلمتان جاءتا من الكلمة الإغريقية **Muthos** وهي تعني في جميع اللغات الأوربية حكاية خرافية شعبية تتحدث عن كائنات تجسد بصورة رمزية قوى الطبيعية والوضع الإنساني "[11].

ويضيف الأحمري موضحا تشكيك أركون في صحة نقل القرآن إلينا بالتواتر قائلا : " ثم أنه إذا سلم بهذه الأسطورة [أي أركون] – بزعمه – فإنها أولا لم تصلنا بسند مقطوع الصحة، لأن القرآن كما يقول لم يكتب كلمة في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بل كتبت بعض الآيات ثم استكمل العمل في كتابة القرآن فيما بعد[12]

وهذه من المغالطات التي يسوقها أركون بكل سهولة، ويخلط فيها بين قضية الجمع وقضية الكتابة، ويزعم أن الظروف السياسية هي التي جعلت المسلمين يحافظون فقط على قرآن واحد ويتركون ما عداه " [13]

يصف أركون مشروعة قائلا :-

" مشروع نقد العقل الإسلامي لا ينحاز لمذهب ضد المذاهب الأخرى، ولا يقف مع عقيدة ضد العقائد التي ظهرت أو قد تظهر في التاريخ، إنه مشروع تاريخي وأنثروبولوجي في آن معا، إنه يثير أسئلة انثروبولوجية في كل مرحلة من مراحل التاريخ، ولا يكتفي بمعلومات التاريخ الراوي المشير إلى أسماء وحوادث و أفكار، وآثار دون أن يتساءل عن تاريخ المفهومات الأساسية المؤسسة كالدين والدولة والمجتمع والحقوق والحرام والحلال والمقدس والطبيعة والعقل والمخيال والضمير واللاشعور واللامعقول و المعرفة القصصية (أي الأسطورية) والمعرفة التاريخية والمعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية " [14].

ولا غرابة أن مشروع أركون والذي أسماه بنقد العقل الإسلامي لا ينحاز إلي أي مذهب أو عقيدة لأنه من الأصل زلزل الإيمان من أساسه طاعنا في صحة الوحي والقرآن وبدل المسميات المجمع عليها من قبل المسلمين بمصطلحات من اختراعه فهو يقر ويقول:- " كنت قد حاولت أن أزحزح مسألة الوحي من أرضية الإيمان العقائدي الأرثوذكسي والخطاب الطائفي التبجيلي الذي يستبعد الآخرين من نعمة النجاة في الدار الآخرة لكي يحتكرها لجماعته فقط. قلت حاولت أن أزحزح مسألة الوحي هذه من تلك الأرضية التقليدية المعروفة إلى أرضية التحليل الألسني والسيميائي الدلالي المرتبط هو أيضا بممارسة جديدة بعلم التاريخ ودراسة التاريخ.

أقصد بذلك دراسة التاريخ بصفته علم أنثروبولوجيا الماضي وليس بصفته سردا خطيا مستقيما للوقائع المنتخبة بطريقة معينه [15] واللسانيات أو الألسنيات هي فرع من فروع اللغة الحديثة أسسه السويسري " دي سوسير " [16] ويقوم على اعتبار اللغة مجموعة علامات

ارتضاها المجتمع حتى يتيح للأفراد التخاطب وقام أركون بتطبيق التحليل الألسني على القرآن الكريم في كتابه " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " حيث تكلم عن سورتي الفاتحة والكهف، وقام بتحليلهما تحليلا ألسنيا، وفي عدد من كتبه الأخرى. [17]

أما التحليل السيميائي /فكلمة سيمياء كما جاءت في معجم المعاني الجامع تعني السحر وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس.

كذلك تعني الكيمياء القديمة وكانت غايتها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، واكتشاف علاج كلي للمرض ووسيلة لإطالة الحياة. وسيمياء الوجه وعلامته وحسنه. وهي بمعنى آخر علم يبحث دلالة الإشارات في الحياة الاجتماعية وأنظمتها اللغوية [18].

ومن هنا فإن التحليل السيميائي للنص الأدبي " هو دراسة النصوص من مختلف جوانبها بشكل سيميائي للوصول لأعماقه واستكشاف المدلولات المحتملة الخاصة به، بالإضافة لمحاولة ربط النصوص الأدبية بالواقع الفعلي، والدروس المستفادة منها ليتم الاعتبار بها... ويتأثر التحليل السيميائي بشكل كبير بالظروف التي تحيط به لذلك نجد أن التحليل السيميائي لأحد النصوص قد يختلف من فرد لآخر، ومن مكان لآخر، ومن زمن لآخر لذلك فهو يحتمل الإبداع فلا يرتبط بأي قيود [19]

أما الأنثروبولوجيا فهي علم الإنسان وهو علم يختص بدراسة السوك الإنساني حيث يعرف بأنه " علم الإنسان و الحضارات والمجتمعات البشرية، وسلوكيات الإنسان، وأعماله، وهذا هو التعريف العام للأنثروبولوجيا ؛ حيث ظهر مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتي تعني بعلوم الإنسان ككائن اجتماعي [20]

فالأنثروبولوجيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام، الاجتماعية سالفة الذكر والطبيعية المرتبطة بعلوم التشريح ووظائف الأعضاء والجراحة الإنسانية والقسم الثالث هو الأنثروبولوجيا الثقافية أو الحضارية وهي التي تهتم بدراسة الآداب والعادات واللباس والأسلحة والتغيرات الاجتماعية للشعوب [21].

المطلب /الثاني: القراءة التاريخية للقرآن عند أركون .

برز الكثيرون في الساحة الثقافية العربية ممن تأثروا بالفكر الغربي المعاصر ومناهجه الفلسفية المختلفة و " سرع بعض رواد الفكر الحداثي المعاصر إلى تبني المناهج الفلسفية الغربية في دراسة القرآن الكريم "[22] وذلك بتطبيق المنهج التاريخي على القرآن الكريم

كما طبقه الغرب على الكتاب المقدس رغم الفرق الشاسع بين الكتابين خصوصا في طريقة جمعهما و تدوينهما، وكون القرآن محفوظا من التبديل والتحريف وصالح لكل زمان ومكان [23].

ومن أبرز رواد هذا الفكر الحداثي، نصر حامد أبو زيد، ومحمد عابد الجابري، والصادق النيهوم وعلي حرب ومحمد أركون.

معنى تاريخية // التاريخية عند المؤرخين المحترفين هي تلك الخاصية التي يتميز بها كل ما هو تاريخي أي ما ليس خيالا أو وهما والذي هو متحقق منه بمساعدة أدوات النقد التاريخي "[24]. " وهي في اللغة العربية تطلق للدلالة على النسبة إلى ما هو تاريخي، والتاريخية بهذا المعنى تقابلها في اللغة الفرنسية كلمة **Historque** وهي بهذه الصيغة وصف منسوب للتاريخ وهي بهذا المعنى لا تدل على أكثر من النسبة للتاريخ "[25].

ويرجع الأصل إلى ظهور هذا المصلح هو " تعرض الكتب السماوية للتحريف والزيادة والنقصان تبعا لأهواء وأغراض رجال الدين بتحالف منهم مع رجال السياسة للحفاظ على مصالحهم المشتركة ولأجل ذلك قامت الكنيسة باحتكار النص و الانفراد بقراءته وتفسيره وعملت على قمع كل فهم وعلم مخالف للنص ومع مرور الوقت تعرض الكتاب المقدس للنقد والمسائلة بمختلف المناهج النقدية ولعل أبرزها منهج النقد التاريخي (القراءة التاريخية) فأدى ذلك إلى تجاوز النص المقدس ومن ثم فصل الدين عن كل مرافق الحياة أو ما أضحى يعرف بالعلمانية اللادينية " [26].

أما الإطلاق الثاني للتاريخية فهو بمعنى المصدر الصناعي والذي يصاغ بزيادة حرفين في آخره هما : ياء مشددة بعدها تاء التأنيث مربوطة ليصبح بعد الزيادة اسما دالا على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة [27].

والقراءة التاريخية عند أركون هي " محاولة مقاربة النص القرآني من خلال دراسته بالمنهج التاريخي باعتباره ظاهرة تاريخية، ومنتج ثقافي مرتبط بالزمان الذي حدث فيه (القرن السابع الميلادي) والمكان الذي تجلى فيه وهو مكة المكرمة وكذلك بيان خصائص البيئة الجغرافية والثقافية التي ظهر فيها، ثم دراسة أهم الأشخاص الذين كانوا وراء تلك الحادثة التاريخية. وهم ما يصطلح عليهم من منظور أركون بالفاعلين التاريخيين " [28].

ويقول أركون موضحا وجهة نظره : " المشروطية اللغوية والثقافية والاجتماعية لإنتاج هذا الخطاب من قبل متكلم ما، بلغة ما، هي هنا اللغة العربية، في بيئة ما هي الجزيرة العربية ثم استقبله لأول مرة في التاريخ جمهور ما، هو الجمهور القرشي في مكة[29].

وهو يرى ضرورة إقحام علوم الإنسان والمجتمع في دراسة التراث الإسلامي فيؤكد أن تطبيق المنهج النقدي لدراسة الظاهرة القرآنية – كما يسميها – لا يكون إلا " من خلال تطبيق التحليل الألسني والتحليل السيميائي الدلالي الاجتماعي أو السوسيولوجي، والتحليل الأنثروبولوجي والتحليل الفلسفي وعلى هذا النحو نحرز المجال لولادة فكر تأويلي جديد للظاهرة الدينية، ولكن من دون أن نعزلها أبدا عن الظواهر الأخرى المشكلة للواقع الاجتماعي التاريخي الكلي [30].

أهم محاور مشروع أركون

أعجب الكثيرون بمشروع أركون، وصفقوا له إعجابا، وكان مشروعه ضربا للإسلام في الصميم، طعنا في القرآن وتشكيكا فيه، واشتمل مشروع أركون على عدة محاور نذكرها بالتفصيل كالآتي: –

أولا: نزع القداسة عن النص القرآني

ويبدأ هذا النزع بتغيير المسمى المتعارف عليه، واستبداله بألفاظ أخرى كالمدونة ؛ حيث يقول مترجم كتب أركون " هاشم الصالح" : "إن أركون يفضل استخدام هذا المصطلح [يعني المدونة] ؛ لكي يغرس القرآن في التاريخية، ولكي يزيل عنه تلك الشحنات اللاهوتية المرعبة، التي تحول بيننا وبين فهمه على حقيقته، ينبغي تحييد الهالة اللاهوتية – ولو للحظة – لكي نستطيع أن ندرس النص في كل ماديته اللغوية ومعانيه التي تعكس حتما أجواء بيئية معينة وزمن معين" [31]

وعن الإسلام والقرآن يقول :" الحق إن الحدث الإسلامي يهتم فقط بما هو مقدس في الحدث القرآني " فأركون يرفض مرجعية المسلمين للقرآن، وجعله مصدر التقديس، والتشريع، ويكمل قائلا :" لكي يوظفه من أجل خلع التقديس، والتعالي، والأنطولوجيا، والأسطورة، والأدلجة على كل التركيبات العقائدية، والقوانين، إن أساس ما يسمى مشروع أركون إنما يدور حول القرآن، بمعنى آخر فإن ما يسمى مشروع أركون يرتكز كله حول هدف ووسيلة ؛

فأما الهدف فهو تحرير المسلمين من القرآن ليستطيعوا أن يصلوا إلى الحداثة ؛ وأما الوسيلة لتحقيق هذا الهدف فهي تطبيق العلوم الإنسانية على القرآن لتحقق ما حققه الغرب في تجاوز الكتاب المقدس"[32]

وهو يطلق على القرآن والإسلام اسمي الظاهرة القرآنية، والظاهرة الإسلامية، ويعرفها كما يلي:

الظاهرة القرآنية يقول فيها :" القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق، أقصد ما يلي : التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما ؛فأما الزمان هو بدايات التبشير والبيئة الاجتماعية التي ظهر فيها هي الجزيرة العربية "[33]

أما الظاهرة الإسلامية عند أركون، فعنها يقول :- " فلا تتفرع عن الظاهرة القرآنية كما يتوهم جمهور المسلمين، أو كما يعتقد التراث الإسلامي التبجيلي السائد، فهذا التراث لا يهتم إطلاقا بالنقد التاريخي، أي بالتأكد من صحة الأمور و الوقائع تاريخيا، و إنما هويتهم بترسيخ القدوة و الموعظة و النموذج الصالح " [34]

فهو يرى أنه لا علاقة بين القرآن و الإسلام، كما يلاحظ أنه أطلق على كتب العلوم الشرعية من فقه و أصول وتفسير وغيرها مسمى آخر وهو كتب تراث، أي أنها لا تمثل الإسلام عقيدة أو تشريعا فهي تمثل الماضي وهي جزء من حضارة مضت و تبقى هذه الكتب على الأرفف لا علاقة لها بواقع المسلمين.

ثانيا : إنكاره أن القرآن الكريم منزل من عند الله و أنه معجز، واستغرابه و دهشته إيمان المسلمين بذلك، و جعله مصدر تشريع لديهم، يقول : " نلاحظ أن نظرية الإعجاز، أو الأصل الإلهي للقرآن، مجرد تبجيل للقرآن من قبل المسلمين ؛ تشهد على الانتقال السري الخفي من مشكلة فكرية مثارة في الحالتين ؛ أي حالة البعث، وحالة القرآن إلى حلول تبريرية وتبجيلية " [35]

ويضيف قائلا : " وبسبب أن القرآن قد أصبح حقيقة معاشة من قبل المسلمين على مستويات الوجود الفردي، و الجماعي فإن أي تساؤل يتعلق بمدى صحته كوثيقة تاريخية يصبح مسألة ثانوية أو هامشية " [36]

ويؤكد مطاعنه وتشكيكه في الأصل الإلهي للقرآن متسائلا : " السؤال الذي يطرح نفسه هنا : كيف حصل أن اقتنع ملايين البشر أن الشريعة ذات أصل إلهي " [37]

ويضيف ضالا مضلا بقوله :-" ينبغي التمييز بين الصحة التاريخية للصحف، والصحة الإلهية "[38]

وهو يقصد أنه كون ما يتعلق بكتابة القرآن، وجمعه وتدوينه، ونسخه، لو كان كل ذلك صحيحا فهو لا يعني صحة المصدر الإلهي، وهذا هو المطعن الأكبر، إنه يزلزل قاعدة الإيمان الكبرى.

المطلب الثالث : أركون وجمع القرآن الكريم.

يقول أركون متحدثا عما أسماه بالمدونة النصية الرسمية، والتي هي المصحف، عن نقلها الشفهي و الكتابي :-" عملية الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة الخطاب المكتوب [المدونة النصية الرسمية] لم تتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف، و الانتخاب، و التلاعبات اللغوية ؛ التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات، فليس كل خطاب شفوي يدون، وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق، نقول ذلك، ونحن نعلم أن بعض المخطوطات قد أتلفت ؛ كمصحف ابن مسعود مثلا، وذلك لأن عملية الجمع تمت في ظروف حامية من الصراع على السلطة و المشروعية " [39]

كما يقول : " نحن نعلم كيف أنهم راحوا يشذبون قراءات القرآن تدريجيا ؛ لكي تصبح متشابهة أو منسجمة مع بعضها بعضا " [40]

ومما يجب الإشارة إليه كما بين عن أسباب ضياع النص القرآني في رأيه أن " الصحابة لم يكونوا أمناء في نقل القرآن من قراءة الرسول إلى التدوين "، كما يقول أركون :- " الخطاب القرآني وهو البلاغ الشفهي من الرسول في مواقف استدعت الخطاب، ولن تنقل جميعها بأمانة إلى المدونة الرسمية المغلقة " [41].

وهو يكرر تشكيكاته في أن جمع القرآن به خلل يجب على المسلمين تصحيحه بقوله في إحدى كتبه: - " نحن نجد أنفسنا اليوم عاجزين أكثر من أي وقت مضى عن فتح الإضباران التي أغلقت منذ القرنين الثالث و الرابع الهجريين؛ والتي تخص المصحف وتشكله"[42].

أركون وإعادة البحث والقراءة لنسخ القرآن الكريم

يرى أركون أنه من الضرورة التي تفتضيها المراجعة النقدية للنص القرآني هي الحصول على كل الوثائق التاريخية باختلاف أصولها ؛ فهو يقول : " لنذكر الآن المهام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني... أي نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية ؛ سواء كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني ؛ هكذا نتجنب كل حذف [تيولوجي] لطرف ضد آخر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، و إنما أيضا محاولة البحث على وثائق أخرى ممكنة الوجود ؛ كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخرا "[43].

وهو يذهب بعيدا حيث يرى من الضرورة القصوى البحث في مكتبات زيدية اليمن وعلوية المغرب ودروز سوريا، والتي تحوي هذه الوثائق التي أشار إليها، ففي كتابه "تاريخية الفكر العربي الإسلامي " يقول : " يفيدنا في ذلك أيضا سبر المكتبات الخاصة عند دروز سوريا، أو إسماعيلية الهند أو زيدية اليمن أو علوية المغرب، يوجد هناك في تلك المكتبات القصية وثائق نائمة متمنعة مقفل عليها بالرتاج ؛ الشيء الوحيد الذي يعزينا في عدم إمكانية الوصول إليها الآن ؛ هو معرفتنا بأنها محروسة جيدا "[44].

وهو لا يدلل على ادعاءاته تلك بحجة منطقية علمية لكنه يرمي بالاتهامات جزافا ؛ منوها إلى أن ما أسماه بالوثائق القرآنية قد دمر تدميرا مفتعلا منتظما فها هو يقول: " يبدو لي من الأفضل أن نستخلص الدروس والعبر من الحالة اللامرجوع عنها، والتي نتجت عن التدمير المنتظم لكل الوثائق الثمينة الخاصة بالقرآن، اللهم إلا إذا عثرنا على مخطوطات جديدة توضح لنا تاريخ النص، وكيفية تشكله بشكل أفضل "[45].

المصحف عند أركون

زيادة في تحقير القرآن وإهانته، ونزع القداسة عنه، فهو يطلق عليه مسمى جديدا وهو : النص المغلق " والذي استهلكته الأمة المفسرة، وعاشت عليه طيلة قرون وقرون، وسوف تستهلكه أيضا طيلة فترة مقبلة لا يعرف إلا الله مداها ؛ بصفته تنزيلا أي وحيا معطى "[46].

كما أنه يطلق على المصحف مسمى آخر جديدا وهو [المدونة]، وهو يرى أن القرآن الشفهي والمجموع، والمكتوب فيها عبارة عن " مجموعة من العبارات الشفهية في البداية ؛ ولكنها دونت في ظروف تاريخية لم توضح حتى الآن، أو لم يكشف عنها النقاب،

ثم رفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس بواسطة العمل الجبار، و المتواصل لأجيال من الفاعليين التاريخيين، أعتبر هذا الكتاب بمثابة الحافظ للكلام المتعالي لله، والذي يشكل المرجعية المطلقة الإجبارية التي ينبغي أن تتقيد بها كل أعمال المؤمنين وتصرفاتهم و أفكارهم "[47].

ولا نعلم هل يتجاهل أركون أو يتناسى جانبا مهما من جوانب العناية بالقرآن الكريم من قبل الصحابة الذين أسماهم بالفاعليين التاريخيين، وكيف جمعوه وكيف كانوا يتثبتون. لقد هيأهم الله لحفظ كتابه الذي تعهد بحفظه وهذا من قبيل الأسباب والمسببات، وورع الصحابة و إخلاصهم دينهم لله، وغزارة علمهم وفطنتهم هذا ما جعلهم يجمعون القرآن ثم جاء عثمان ابن عفان ولما رآه من مصلحة لأمة الإسلام أن يحرق جميع المصاحف ولم يبقِ إلا مصحفا واحدًا بالقراءات المتفق عليها وقام بتوزيع نسخ منه على جميع الأمصار الإسلامية ؛ لأجل جمع كلمة المسلمين ونبذ التفرقة، والفتنة التي كادت أن تنتشر انتشار النار في الهشيم.

المطلب الرابع : أركون وأصول القرآن الكريم و أسلوبه.

أما عن أصول القرآن عند أركون فهو يدعي أن محمدا – ﷺ – قد اقتبسها من أساطير عصره و أدمجها في القرآن فيقول : " إن أساطير جلجامش، و الإسكندر الكبير، والسبعة النائمين في الكهف ؛ نجد لها أصداء واضحة في القرآن " [48].

وبناء عليه فهو يرى أن هذه الأساطير كانت سببا في اقتناع أتباعه [أي المسلمين] و إيمانهم به حيث يقول : " ينبغي القيام بتحليل بنيوي لتبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري ؛ الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة " [49].

كما يتصور أركون " أن القصص التي في القرآن أخذها النبي – ﷺ – من التوراة مع شيء من التصرف، والتعديل. فيقول : " مهمة التحليل التاريخي لا تتركز في الكشف عن المؤثرات التي أتت من مصدر موثوق وصحيح وهو التوراة، وبالتالي إدانة الأخطاء، والتشويهات، والإلغاءات، والإضافات، التي يمكن أن توجد في النسخة القرآنية بالقياس إلى النسخة التوراتية "[50].

كما يذكر أركون بأنه عرض وقائع التاريخ على القرآن ؛ فوجد بها أخطاء كثيرة، حيث يقول " ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط و الحذف و الإضافة، والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[51].

أما عن أسلوب القرآن الكريم فقد وصفه بالفوضى والتكرار وتوليد العنف ؛ فأركون يصف أسلوب القرآن بقوله : " يأتي تارة على هيئة تكرار زائد، أو تبسيطات، أو تشنجات قاسية، تطلبتها طبيعة الظرف التاريخي، كما هو الحال في سورتنا هذه " [52].

والسورة التي يقصدها هي سورة التوبة، فهو يرى أن تكرار بعض (الجمل) فيها شيء ممل، أما التشنجات القاسية التي تظهر فيها إنما هي وليدة الظرف التاريخي للمكان والزمان الذي هبط فيه القرآن، وهو يستغرب بل يستنكر كيف أن العرب صدقت و آمنت أنه من عند الله.

وهو يأكد أن دعوة القرآن للقتال هي رمز من رموز العنف الاجتماعي قائلا في نفس السورة عن قوله تعالى ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : 5].

يقول أركون : " لقد اخترت الانطلاق من هذه الآية ؛ لأنها تشكل بالنسبة لسورة التوبة الذروة القصوى للعنف الموجه لخدمة المطلق الله المطلق " [53].

أي أن الله المطلق [عند أركون] يحب سفك الدماء، ويتلذذ بالقتل، وهو بالتالي ينفي عنه جلَّ وعلا صفات الحكمة والعدل و الرحمة سبحانه وتعالى عما يصفون.

وتتبثق عبقرية أركون على أنه يجب أن نقوم بعدة أمور عاجلة تتطلبها أية مراجعة نقدية لليقول: أي نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن، يقول : " هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية سواء كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني، هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي لطرف ضد آخر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضا محاولة البحث على وثائق أخرى ممكنة الوجود ؛ كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخرا " [54].

كما أضاف قائلا في نفس السياق : " يفيدنا في ذلك أيضا سبر المكتبات الخاصة عند دروز سوريا، أو إسماعلية الهند أو زيدية اليمن، أو علوية المغرب، يوجد هناك في تلك المكتبات

القصية وثائق نائمة مقفل عليها بالرتاج، الشيء الوحيد الذي يعزيها في عدم إمكانية الوصول إليها الآن هو معرفتنا بأنها محروسة جيدا " [55].

وهو يرى بأن الوثائق الثمينة للنص القرآني قد دمرت بانتظام، ولا مفر من البحث عن مخطوطات جديدة توضح تاريخ النص، وكيفية تشكله فيقول : " يبدو لي من الأفضل أن نستخلص الدروس و العبر من الحالة اللامرجوع عنها والتي نتجت عن التدمير المنتظم لكل الوثائق الثمينة الخاصة بالقرآن اللهم إلا إذا عثرنا على مخطوطات جديدة توضح لنا تاريخ النص وكيفية تشكله بشكل أفضل " [56].

وهو يصرح بنفيه أن هذا القرآن الذي بين أيدينا ليس هو نفسه الذي كان أيام النبي ﷺ حيث يقول :-

" ويمكنني أن أقول بأن المقدس الذي نحن عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام، ولا حتى بالمقدس الذي كان سائدا أيام النبي ﷺ " [57].

هنا يستخدم أركون ذكاءه ويضع السم في الدسم، فلو سلمنا جدلا بأن القرآن من عند الله، فلا دليل على أن هذا القرآن المنقول إلينا هو بذاته الذي أنزل على محمد – ﷺ – وهو بهذا اعتلى قمة التمويه والمراوغة – ومن كل ما سبق يتبين أن وراء كتابات أركون وفلسفته المملة هو محاولته نزع القداسة عن القرآن الكريم وطعن الإسلام والمسلمين في أعظم مقدس لديهم الذي انتقل عبر الأجيال والقرون بالتواتر حفظا في الصدور وكتابة في المصاحف بفضل من الله سبحانه وتعالى الذي تعهد بحفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الآية : 9]

الخاتمة

أركون صناعة فكرية استشراقية غربية، جرفه التيار، وصفق المعجبون بفلسفته وفكره المجدد الذي جعله يستحق عدة جوائز عالمية خصصتها جهات رسمية لأمثاله دعاة الحضارة وأعداء الإسلام الذين يعملون جاهدين لتحويل المسلمين عن دينهم وجعلهم كيانا ماديا خاليا من روح الإيمان ؛ تحصل أركون على جائزة ليفي ديلا لدراسة الشرق الأوسط سنة 2002 م. وجائزة ابن رشد للفكر الحر سنة 2003 م، وجائزة الدوحة سنة 2010 م وشهادة دكتوراة فخرية من جامعة اكستز.

فكل هذه الجوائز هي شكر وتشجيع لكل متطاول هادم للإسلام مشككا في صدق الرسالة الخالدة.

ويجب التنويه بأن القراءة التاريخية من أخطر القراءات المعاصرة مساسا بقدسية النص القرآني، ونقضا لدلالته القاطعة، ومعانيه الكبرى، وتصييره نصا بشريا لغويا أدبيا، صاغته حوادث الزمن، ونسجته ظروف البيئة المحيطة ".

كما أن الغرض من القراءة التاريخية هو محاولة نقض خصائص النص الشرعي من حيث كونه : رباني المصدر، محفوظ منم التحريف و التبديل صالح لكل زمان ومكان ". " والقراءة التاريخية في الخطاب الحداثي العربي المعاصر ؛ ماهي إلا تقليد للفلسفة الغربية، ومناهجها المختلفة، وعلى رأسها المنهج التاريخي، واجترار لأطروحات استشراقية جاهزة في الوقت الذي تتاسى فيه الحداثيون اتهامهم للمسلمين بالتقليد ".

ويبقى الهدف الأول الأساسي من القراءة التاريخية للقرآن هو " محاولة فصل المسلمين عن مرجعيتهم، من خلال أرخنتها في زمان، ومكان، وبيئة خلت ومضت، ولم تعد الحاجة إليها ".

فلنكن من كل هذا على حذر

هوامش البحث //

1 الجزيرة نت – الموسوعة Aljazerera.net

عنوان المقال – محمد أركون 14-10-2014م.

2 المصدر نفسه، ص نفسها.

3 المصدر نفسه، ص نفسها.

4 الألوكة / إشراف د. سعيد بن عبد الله الحميد Cuture/0/3

5 محمد أحمد خلف الله، هو مفكر وكاتب مصري في حركة الحداثة الإسلامية. رفضت جامعة القاهرة في سنة 1947 م الأطروحة التي قدمها لقسم اللغة العربية وعنوانها " الفن القصصي في القرآن " فكان يشير فيها إلى أن النصوص القرآنية تمثيلية ولا ينبغي أن تعتبر ثابتة بل توجيهات أخلاقية توفي سنة 1997م.

www.youm7.com اليوم السابع

6 نصر حامد أبو زيد، أكاديمي مصري، وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية، ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية.

أثارت كتاباته ضجة إعلامية في منتصف التسعينات من القرن الماضي واتهم بالردة والإلحاد. وحكمت المحكمة المصرية بالتفريق بينه وبين زوجته قسرا، على أساس أنه لا يجوز للمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم توفي 2010م.Wikipedia.org

7 سيد القمني، كاتب علماني مصري معظم أعماله الأكاديمية تناولت مرحلة حساسة في التاريخ الإسلامي من مؤلفاته الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية، وكتاب الإسرائيليات. توفي سنة 2022م.Marefa.org

8 محمد عابد الجابري، مفكر مغربي ولد سنة 1935، صاحب مشروع نقد العقل العربي من مؤلفاته : تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل الأخلاقي العربي، توفي سنة 2010م.

9 الألوكة، محمد أركون وعلمية الإسلام alukah.net

culture/ 0/ 3 2012-1-12م

10 الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ترجمة / هاشم الصالح مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان، 1987م، ص22.

11 صيد الفوائد، بحث بعنوان " محمد أركون ومعالم أفكاره "
www.saaid.net/Mxtatat

12 المصدر نفسه، ص نفسها.

13 المصدر نفسه، يمكن مراجعة الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، أركون، ترجمة هاشم الصالح، دار الساقي، بيروت – لبنان ط6 2012م.

14 فيصل التفرقة وفصل المقال، أركون، ترجمة هاشم الصالح، دار الساقي، بيروت – لبنان، 1993م، ص55.

15 المصدر نفسه، ص نفسها.

16 دي سوسير : عالم لغوي سويسري شهير... عده الكثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث ولد سنة 1857م وتوفي سنة 1913م.
موسوعة عارسسسف wiki<https://3arf.org

17 البيان، مجلة إلكترونية، عنوان المقال : التحليل الألسني للقرآن، محمود بن علي البعداني، **www.albayan.co.uk/MG**

18 تعريف ومعنى سيمياء **https://www.almaany.com** في معجم المعاني الجامع.

19 المرسال **www.almrsal.com/post** خطوات التحليل السيميائي للنصوص الأدبية /ابتسام مهران 14-9-2022م.

20، 21 موقع موضوع، بحث بعنوان " ماهو علم الأنثروبولوجيا 17-4-2016م"
https://mawdoo3.com

22 الألوكة، القراءة التاريخية للقرآن الكريم alukah.net

إشراف /د. سعيد بن عبد الله الحميد culture10/3

23 بقلم /عبد الحافظ صحبوض 25-9-2017م.

24،25،26 الألوكة، القراءة التاريخية للقرآن، المصدر السابق.

المصدر نفسه، ص نفسها.

27،28 المصدر السابق، ص نفسها.

29 قضايا في نقل العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة هاشم الصالح، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط 2، 2000م، ص 186.

30 القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم الصالح، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط2، 2005 م، ص21.

31 الفكر الأصولي و استحالة التأصيل، دار الساقي، بيروت – لبنان، ص99.

32 الراصد، مشروع أركون وماهيته... www.alrasetd.net

الأحد – أغسطس 2008 م – محمد العواودة.

33 نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، أركون، ترجمة هاشم الصالح، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط2، 2000م، ص186.

34 تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986م، ص299.

35 الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص47.

36 المصدر نفسه، ص129،

37 تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص296.

38 الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص83.

39 قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة هاشم الصالح، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط2، 2000م، 188.

40 الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص111.

41 نافذة على الإسلام، ص65.

42 الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص30.

43 تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم الصالح، مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان، ط1، 1986م، ص290.

44 ص291.

45 الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم الصالح، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط1، 1999، ص45.

46 المصدر السابق، ص 57.

47 المصدر نفسه، ص41.

48 الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص84.

49 المصدر نفسه، ص203.

50 الراصد، سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة، العدد التاسع والثمانون – ذو القعدة – 1431 هـ، فرق ومذاهب – سلسلة رموز الفكر العلماني المعاصر – 5 أركون مفكر الاستبداد الغربي – عنوان المقال : أركون والقرآن الكريم **www.alrsed.net**

51 الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص203.

52 المصدر نفسه، ص103.

53 المصدر نفسه، ص93.

54 تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص290.

55 المصدر السابق، ص291.

56 الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص45.

57 مجلة مواقف، العدد 59 – 60، هاشم الصالح، الإسلام والحداثة، 1– يونيو – لبنان – 1989، ص20.